

سوسيولوجية انبناء المكانة الاجتماعية وتقمص الدور - مجتمع أدرار أنموذجاً -

Sociological development of social status and role play : Adrar community is a model

ميروك مقدم^{1*}

¹كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة البليدة 2 لونييسي علي، البليدة - الجزائر

تاريخ النشر: 2019/12/31

تاريخ القبول: 2019/06/06

تاريخ الإرسال: 2018/11/12

الملخص:

سوف ندرس في الورقة الأبعاد الأساسية لابتناء المكانة الاجتماعية في المجتمع الأدراري، مع تحديد مكنزمات الترقى ضمن سلم البناء والنظام الاجتماعيين، ما يجعل الفاعلون الاجتماعيون يتفاعلون ضمن القواعد التي حددها المجتمع للانتقال من فئة لأخرى باعتماد مكونات خاصة ترتبط في أساسها بتقسيم العمل الاجتماعي. يلعب الفرد الفاعل مجموعة الأدوار الإدماجية الامتثالية للحصول على الرضا الذاتي والاجتماعي، ليبني عناصر المكانة وفق القواعد المحددة سلفا من طرف المجتمع. أو يعد من المارقين الخارجين عنها، وقد لا يحصل الترقى إن لم يحصل الفاعل على الرضا الاجتماعي، لارتباط ذلك بمجموعة من الأدوار التي يجب عليه لعبها لبناء عناصر المكانة في المجتمع، مع اختلافها من مكون لآخر بحسب الحالة التي يكون عليها الفاعل. وبحسب المكانة التي يتطلع لحصولها، فرمزية التحقيق تستدعي المرور على قواعد انبثائية محددة سلفا.

الكلمات المفتاحية: الإنبناء الاجتماعي؛ المكانة الاجتماعية؛ التدرج الاجتماعي؛ الهيمنة؛ الرضا الاجتماعي؛ الجماعة المرجعية؛ المكانة الملتبسة؛ الأنوميا.

Abstract

In this paper, we will examine the basic dimensions of social status in the administrative society, and identify the promotion mechanisms within the construction ladder and the social system. This makes the social actors interact within the rules set by the society to move from one category to another by adopting special components that are basically related to the division of social work. The individual actor plays a group of ideal integration roles to

* الباحث المرسل: mebroukmekeadem@yahoo.fr

obtain social and social satisfaction, to build the elements of status according to the pre-determined rules of society. It may not be promoted if the actor does not get social satisfaction, because of the association with a set of roles that he must play to build the elements of status in society, with different from one component to another depending on the situation on which the actor. According to the status that looks forward to get, the symbolic investigation requires the passage of pre-defined building rules.

Keywords: Social status; social status; dominance; social satisfaction; reference group; ambiguous status; anomaly

مقدمة:

اكتسب مصطلح المكانة العديد من المعاني والتفسيرات، تشير أغلبيتها بأن المكانة هي الوضع الذي يشغله الفرد في النسق الاجتماعي بالنسبة للآخرين. يتحدد داخل بناء النسق الاجتماعي القائم على مجموع العلاقات التي بينها المجتمع وي طرح لبلوغها أدوارا، يسلكها الفاعل الاجتماعي بغية بناء مكانته الاجتماعية حسب الإمكانيات المتوفرة لديه. يبني الهندام مكانة ظرفية يخلعها المجتمع على الفرد، يقول المثل (ثياك يرفعك قبل جلوسك وعلمك يرفعك بعد جلوسك). فالهندام والتنميط الذاتي له دور في بناء مكانة ظرفية يحوزها الفرد بين الناس.

الإشكالية: في هذه الدراسة نطرح عدة تساؤلات حول كفاءات ابتناء المكانة وعلاقتها بالدور الذي يلعبه الفاعل الاجتماعي للحصول على الرضا؟ وبيان السلوك او القواعد التي حددها المجتمع للعب الأدوار لإنبناء المكانة الاجتماعية؟ يلاحظ ان ثمة عدة مكانات يتبوها الإنسان (المكانة الاجتماعية، المكانة القداسية، المكانة الاعتبارية المكانة الرمزية، المكانة النسالية، مكانة الهيمنة الذكورية) بلعبه الأدوار المختلفة، وقد لا يصل لإنبناء المكانة لتضارب الأدوار وعدم القدرة على التوفيق بينها؟ ما يؤدي لهدر عناصر بناء المكانة والدور الاجتماعي؟ من خلال هذه الإشكالية نطرح السؤال الرئيسي التالي: كيف تبني العلاقة التفاعلية بين المكانة وتقمص الأدوار الافتعالية؟ وما السلوكيات الذي يفرضها المجتمع الانقسام الإدراري في بناء أوهدر عناصر المكانة؟ وهل ثمة علاقة تفاعلية بين المكانة والتصورات التراتبية بالمجتمع؟(تمولايت/ تمرايطت / تحرطنيت / تخمسيت / تخراصيت/ تسيادت / تالليات)؟ هذه المفاهيم الإدارية تبني وتهدم عناصر المكانة الاجتماعية، فالمجتمع هو من يوزع الشهادات الأخلاقية على عناصره، ويطلب هم

الامتثال والتفاعل ضمنها، وكل خروج أو عدم الامتثال يؤدي لوصم الفرد اجتماعيا ويعد خارجا عن قواعد ضبط المجتمع. فإذا تضاربت أدوار المكانات الاجتماعية، فما السلوك الذي يتبعه الفاعل الاجتماعي للتوفيق بينها لبناء المكانة الفاعلية؟
الفرضيات:

1. تنبئ المكانة الإدارية بملكية الماء/العقار الفلاحي/النسب المقدس؟.
2. تحبط عناصر بناء المكانة بقصور التوافق وعدم الملاءمة بين الأدوار الاجتماعية؟.
3. هناك علاقة طردية بين بناء المكانة الاجتماعية ولعب الأدوار المختلفة للحصول عليها؟
4. تبنى المكانة وراثيا/وبالتنقي العلمي /ورأس المال الرمزي والمادي، الثقافي، الاجتماعي، الإعتباري؟.

أولا: مفاهيم الدراسة:

1. الجماعة المرجعية: تعد من المفاهيم التي تشكل اطار الإنتمائية الفرد حقيقية أو متخيلة، فإنها تعتبر إحدى مصادر السلوك الإنساني، ولهذا لا بد من اعتبارها في محاولة فهم أو تفسير أداء الدور. وقد تكون جماعة ثقافية / دينية / فلكلورية/ تنظيرية/ اجتماعية. يتشرب من خلالها الفرد سلوكياته بتفاعله ضمنها، فقد يكون اندماجه كليا أو مرحليا.
2. الإبتناء الاجتماعي: Social Anabo هو نمو في المجتمع يتم من خلال استيعاب وتكييف الأفكار والاتجاهات والممارسات الحديثة(مصلح الصالح الشامل 1999ص: 497)⁽¹⁾.
3. المكانة المكتسبة (Achieved status): كل مكانة اجتماعية تعكس قدرة الفرد على اكتساب موقع مميز نتيجة لإنجازاته الشخصية، وبناء على تدرجه فيما يبنى مكانته من تعليم، ومال، وجاه. يقول المثل الشعبي (حرفت بوك لا يغلبوك). أي عليك بحرفة العائلة حتى لا يغلبونك، (شارلوت سيمور سميت موسوعة علم الانسان، ص279)⁽²⁾.
4. الأنوميا أو اللامعيارية (Anomy): تشير لحالة انهيار البناء الثقافي، وتظهر بصفة خاصة عندما تنحل الروابط بين المعايير والأهداف الثقافية، وبين القدرات الاجتماعية لدى الأفراد للقيام بسلوك يتسق معها، ولهذا فإن الأنوميا هي الحالة المقابلة للتضامن الاجتماعي. فإذا كان التماسك الاجتماعي يشير لنوع من التكامل الإيديولوجي الجماعي،

فإن الأنومية هي حالة الفوضى وانعدام الأمن وفقدان المعايير (أحمد زكي بدوي: 1992، ص: 20) ⁽³⁾.

5. إحباط المكانة (Status frustration): يعني ظرف مثير للقلق، اهتمت بإبرازه نظرية فقدان المعايير (Anomie) (ميشال مان: 1999، ص: 688) ⁽⁴⁾ ينتج عن إحباط المكانة دخول الفرد والجماعة مرحلة عدم التوازن بين الحاجيات والمطالب وعدم التوافق بين الرغبات وضعف الإمكانيات، بمعنى البحث عن عناصر التوافق لبناء المكانة الجديدة، إلا أن ذلك يؤدي للحط من مكانة الفرد ويتم وصمه بين الأفراد

6. الوصمة La bellingq: من العوامل المحبطة لبناء المكانة الاجتماعية وصم الفرد فهو أداة هامة من ادوات الكشف والإيضاح في ميدان دراسة الانحراف، فكان المرت Lomert أول من طرح المفهوم سنة 1951، لكن أصبح أكثر ارتباطاً بأعمال هوارد بيكر H.Becker سنة 1963، وهو الآن من المفاهيم الأساسية في التفاعلية الرمزية. فالوصمة Stigma هي صفة ذات ملمح ثقافي تستعمل لتمييز شخص وتشويه سمعته والحط من مكانته الاجتماعية بهدر عناصر الترقى. (عدلي محمود السمري علم الاجتماع الجنائي ص، 249، 2009) ⁽⁵⁾.

7. المكانة الاجتماعية Social Status تمثل الوضع الذي يشغله الفرد أو الأسرة أو الجماعة القربية في النسق الاجتماعي بالنسبة للآخرين، وقد يحدد هذا الوضع الحقوق والواجبات وأنواع السلوك الأخرى، بما في ذلك طبيعة ومدى العلاقة بآخرين لهم مكانات مختلفة. (أحمد عاطف غيث: 1989، ص: 339) ⁽⁶⁾.

8. التدرج الاجتماعي (Social Stratification): يعد تقسيم المجتمع لفئات اجتماعية منفصلة عن بعضها البعض، هو ترتيب الأفراد في المجتمع في درجات متتابعة، فهو العملية التي تقسم الناس بعضهم على بعض لشرائح من حيث الدخل / الثقافة / النسب / أهمية العائلة / النفوذ في الجماعة يتبع ذلك من تقدير واحترام أو عطف أو احتقار الناس بعضهم لبعض

9. الهيمنة Hegemony لقد اشتق هذا المفهوم من الكلمة الإغريقية Hegemon التي تعني القائد أو المرشد أو الحاكم، وفي الاستعمال العام لها ما يشير للأسطورة أو النفوذ الذي يمارسه بلد ما على بلد آخر وتطوير المصطلح على يد المفكر الإيطالي "انطونيو جرامشي Gramsci لتفسير قيادة الطبقة المسيطرة في المجتمعات الرأسمالية المعاصرة

ويذهب إلى أن هذه الطبقات لا يمكنها أن تحافظ على قيادتها في المجتمع من خلال استعمال العنف أو القوة فقط (اندرو ادجار وبيتر سيد جويك مرجع سابق ص: 707)⁽⁷⁾.
10. الدور: لقد عرفه لينتون سنة 1936 على أنه "الجانب الديناميكي للمكانة فإذا كانت المكانة تمثل وصفا اجتماعيا معيناً له مجموعة من الحقوق والواجبات المرتبطة به فإن الدور يعني تنفيذ توقعات المكانة وتوقعات الدور بواسطة السلوك المتوقع لمكانة معينة، ثم أضاف له مفهوماً جديداً سنة 1949 هو مجموعة الأدوار أي مجموعة اجتماعية معينة، وصراع الأدوار يحدث عند ما تفرض على الفرد توقعات أو متطلبات غير متوقعة (شارلتون سيمور - سميت مرجع سابق ص: 290)⁽⁸⁾.

11. الرضا الاجتماعي. Social Satisfaction ينتج عن الشعور بالسرور والطمأنينة التي تصحب تحقيق الهدف بعد ما يتم المرء إنجاز ما عليه من واجبات نحو الهدف الذي كلف بإنجازه يرتجى من المجتمع الثواب المعنوي فإذا حصل عليه يتحقق له الرضا الناتج عن إتمام العمل (أحمد زكي بدوي المرجع السابق ص: 397)⁽⁹⁾.

12. السلم الزراعي Agriculturaler يقصد به ذلك السلم الذي ينتقل بمقتضاه الريفيون من طبقة لأخرى وهو مرهون بالتوازن بين معدل نسبة الفرد / الأرض، فتغيير الفرد لوضعيته الاجتماعية من أجير La bourer إلى مستأجر Tenant إلى مالك Ouner يتوقف كل ذلك على درجة الاكتظاظ أو التخلخل السكاني الريفي. (أحمد زكي بدوي مرجع سابق ص: 14)⁽¹⁰⁾.

ثانياً: تعاريف المكانة الاجتماعية.

لقد تعددت تعاريف المكانة Prestige حسب اتجاهات العلماء وميولهم الفكرية، فقد عرفها "رالف لينتون" بأنها وضع الفرد في المجتمع وحدده بأنه مجموعة من الحقوق والواجبات والالتزامات (عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، 1989، ص: 472)⁽¹¹⁾.

- تعرف المكانة: بأنها المكانة النسبية لدور اجتماعي معين طبقاً لقيم أعضاء المجتمع (الحسن إحسان محمد: 2005، ص: 129)⁽¹²⁾.

- التعريف الإجرائي للمكانة الاجتماعية: نعني بالمكانة الاجتماعية ذلك المقام الذي تبوّه الجماعة للأفراد بناء على قواعد ضبطية وفق واجبات وحقوق يفرضها الموقع المكتسب بلعب مجموعة من الأدوار لاعتلاء شرف الجماعة.

ثالثا: مفردات مكنزم بناء المكانة الاجتماعية:

تنبني مكانة الفرد بمجموعة من الوسائل المادية والمعنوية المرتبطة بالتعزيز، الرضا الاجتماعي والتوافقات ضمن القواعد الضبطية الوجدانية المجتمعية.

1. الوسائل المادية: يمكن التعبير عنها بموقعة السكن التي يندرج الفرد داخلها فبيئة السكن توحى بمروحية التراتب، فمساكن الفئات المرفهة تتوفر على أكثر الخدمات الاجتماعية والشروط الصحية، تتسم شوارعها بالسعة والاختصار، طروقها معبد سهلة الدخول والخروج بينما مساكن الفئات الهشة أو المهمشة التي لفظت ساكنها المدن تبدوا وكأنها علب السردين أو لنقل جدران متداخلة في أخرى تحوي اعدادا كبيرة من السكان الطابع العام بينهم المناوشات والفتن والصباح والضبايح، تجمعهم ثقافات مختلفة ومتنوعة تنبني المكانة بينهم بلعب دور الأقوى الذي لا يقهر، يجمع معه فريق المؤيدين رغبة أو رهبة لحمايتهم وقت الشدة، تنمط سلوكياته وتسوق أفعاله بين الناس، يعد روبرت بارك ابرز علماء مدينة شيكاغو فقد صك العديد من المفاهيم منها (الإيكولوجيا البشرية) ظهرت بكتابه (المدينة سنة 1916) فقد اوضح فيه الأسس المنهجية علم الاجتماع الحضري، فقد نادى بضرورة ان يقوم البحث الحضري على اساس الملاحظة المنظمة للظواهر الحضرية، إلى جانب تأكيده على القوى التي تتحكم في توزيع الأفراد وفي النهاية خلص لفكرتين أساسيتين .

الأولى: تتضمن التأثير الذي تمارسه ظروف العيش في المدن على سلوك الافراد.
الثانية: تلك الوسائل التي من خلالها يؤدي التكيف البشري للبيئة الطبيعية لانقسام ابنية المدينة وتمايزها في مناطق طبيعية تتلاءم مع الأنماط البشرية التي تتواجد ومعها ثقافتها وأعرافها مع قلة المرافق الصحية والثقافية ساكنوها يصابون بالأمراض الجلدية وأمراض العيون، تكثر فيها الحوادث الناتجة عن الصراع بين الساكن الجديد والسكان القدامى، تنعدم بها الكهرباء إلا ما تم سرقة أو جره من مسافات بعيد يحدث من حين لآخر مناوشات واصابات خاصة ايام التساقطات المطرية هذا يتبع سلوك الأفراد حالة السكن ووضعيه المادية والاجتماعية .

2. شرعنة الإستبرار: Léqitimation هي تلك العملية التي يتزرع بها البعض لإعطاء المشروعية لنشاطاته، فهي عملية نفسية علائقية تهدف لتبرير العدوان المادي الفيزيائي والرمزي على الغير من خلال تأثيمه بوضع كل اللوم عليه وتحميله مسؤولية المأزق

الذاتي أو المآزق العقلانية عند ما يصبح هو المذنب وهو مصدر الخطر والتهديد في حالة من تبخيس إنسانيته يلوم غيره ويلوم النظام ويحط من قيمتهما فيحول ذلك لعقوبات وسلوكات ضد الآخرين فيحط من قدره في وجه السعادة الذاتية، ومع رد فعل يطلق العنان للعدوانية الذاتية في فعل تهجي تدميري ضد الآخر، الذي يبحث عن وسيلة تقيه عنجهية وتسلب الظالم المعتدي فيقع تحت شعار الدفاع عن النفس الذي هو عملية شرعنة العدوان على الغير وهما أيضا الإحساس بالغبن.(مصطفى حجازي التخلّف الاجتماعي، 2005، ص: 246)(13).

3. تأثيث المنازل: يعتمد مستوى المعيشة على دخل الفرد الذي يساعده على اقتناء ما يحتاج إليه من سلع وآلات وأثاث منزلي. وبالطبع يختلف هذا المستوى بالنسبة للفئات الميسورة عن الفئات الفقيرة، فعامل الأجر مهم بالنسبة لبناء مكانة العائلة. تكون قدرة على التمتع بقسط من الرفاهية الاجتماعية التي تشير لارتفاع مستوى المعيشة. بينما انخفاض وتدني مستوى الدخل لدى الفئات الاجتماعية المهمشة يحرمها تحصيل السلع والخدمات، ويحوّل دون تمتعها بأنشطة الفراغ والترويح ما يؤثر سلبا على مستواها المعيشي (حسين أحمد حسين: 1990، ص: 77) (14).

4. التحصيل العلمي: يمثل أحد المكترزمات الهامة في بناء المكانة والتدرج من وضعية لأخرى، فالشهادات التي يحصل عليها الفرد تمكنه من تبوء مكانة أعلى وتكسبه خبرات ومعلومات، فحامل شهادة في اختصاص أو دراسة يستطيع مزاولة الأعمال المؤهل للقيام بها وممارستها. وبعد الأداء يحصل على راتب أو أجر عال وينال الرضا من رب العمل ويكون مرتاح البال، وينال درجة عالية من الاحترام والتقدير من العاملين معه ومن أبناء مجتمعه (الحسين إحسان محمد: 1990، ص: 20). (15).

5. الثقافة: تميز الثقافة بين فئة وأخرى، فكل فئة تتميز بقدر من الثقافة والإنجازات تجعل أفرادها يتفاخرون بموروثهم الثقافي الأصيل الذي ينتقل من جيل لآخر مثل فرقة قرقابو بأدرار، وفرقة الحضرة وفرقة بارود أولاد علي، وأهل الليل بتيميمون، والشلالي بقصبة القائد بأدرار، يتفاخر كل فريق بتأصيل طابعه ويجذره في المجتمع..

6. المهنة: يمثل عامل المهنة أحد الأبنية القويّة في تجذر بناء عناصر المكانة الاجتماعية في بناء عائلة قدي/والخراز/ وبوشنة بأولف، احتفاظ مكانة مميزة بمحيطها الداخلي والخارجي لإنتاجها نعال ذات جودة علمية وخاصة، ونوعية فارهة، تنبني عليها مكانة

الفرد الأدراري فأصحاب البارود والقرقابو، وكل الفعاليات الفلكلورية وعامة الناس لا تكتمل الأناقة والفهردة (الرشوق / الهيجان الانفعالي الوجداني) إلا بارتداء نعال (أولف) فرغم الحضارة ورغم موت الكثير من الحرف الأخرى إلا أن هذا النوع الأصيل تأصل في النفوس وقومها تقويما ،استمر وحفر اخاديد في زمن العولمة والحدثة والانترنت ومنصات التواصل الاجتماعي.

7. الصورة النمطية (Stereotype): أو التصورات النمطية هي نظرة مفردة في تبسيط الأمور وغالبا ما تكون مشبعة بالأحكام القيمية، تكون على أساس الاتجاهات والتصورات والتوقعات الخاصة بإحدى الجماعات أو أحد الأفراد. هذه الآراء قد تكون متجذرة في الثقافات العرفية المتعصبة، فتستعصى على التغيير، وتقوم بدور هدام في تشكيل اتجاهات أعضاء المجموعة تجاه الآخرين، قد يمثل دور الصورة النمطية فيما يمكن تقديمه من وسائل اتصال جماهيري من أمثال تصوير المرأة والأقليات الإثنية في الأعمال المسرحية والكوميديا (اندرو أدماروبيتر سيدجويك: 2014، ص: 422).⁽¹⁶⁾

8. الاختراعات والبحوث العلمية التحديثية: يعد التفوق الدراسي /الدخل /المصادر/التقييم الاجتماعي للمهنة/ الاختراعات العلمية من عناصر بناء المكانة يؤكد «ماكس فيبر» على ثلاثة عوامل لتحديد المكانة الاجتماعية للفرد ،هي: العامل الثقافي/السياسي/الديني/ يمثلون مكانة مرموقة رغم عدم امتلاكهم لوسائل الإنتاج، ومعنى هذا أن العامل المادي يحدد بدرجة معينة مكانة الفرد الاجتماعية، ويكون سببيا في التقسيمات الفئوية في المجتمع مع تقسيم العمل الاجتماعي. وهناك عامل اخر العائلية/الملكية أو الأستقراطية/الأصل العرقي/المهنة/التعليم (محمود عودة: أسس علم الاجتماع، ص: 217).⁽¹⁷⁾

9. التقدير: (Esteem): يعد من بين العناصر التي تبني المكانة أي تقسيم إنجازات الفرد بالنسبة للمكانة التي يشغلها، سواء كانت هذه المكانة مرتفعة أم منخفضة، وسواء كان الفرد يحصل على تقدير مرتفع (تعزيز) أو منخفض. فإنَّ التقدير طبقا لحكم الفرد يتوقف على قيامه بدوره على خير وجه مهما كان هذا الدور مرتفع أو منخفض الهيبة. ويختلف التقدير عن الهيبة (Prestige). فالفرد الحاصل على مركز قد ينظر إليه بتقدير منخفض بالنظر إلى ضعف إنجازاته في المركز الذي يشغله، ومن ناحية أخرى،

فالفرد الذي يشغل مركز منخفض الهيبة قد ينظر إليه بتقدير مرتفع لإنجازه المرتفع ومع هذا تظل هيئته منخفضة (أحمد زكي بدوي: ص: 94)⁽¹⁸⁾.

10. جماعة المكانة (Status group): هم جماعة من الأشخاص الذين حققوا مستوى من الهيبة الاجتماعية على أساس المعايير القائمة والفاعلة في الجماعة الأكثر اتساعا التي ينتمون إليها (محمود عودة: أسس علم الاجتماع، ص: 217).⁽¹⁹⁾ مثل فرق البارود، وفرق اهل الليل، وفرق الحضرة وجماعات الشلال، تستخدم هذه الجماعة بطريقتين في علم الاجتماع، فهي تشير للمركز الاجتماعي في نظرية الدور (Role Theory)، وتتسم بالتمييز بين المكانة أو المركز الاجتماعي، والدور أو السلوك المتوقع لمن يشغل مركزا اجتماعيا، ولقد جرت العادة على أن يتم تقييم المراكز الاجتماعية بشكل تفاضلي، الأمر الذي يصل بنا إلى المعنى الثاني للمكانة، باعتبارها المقام الاجتماعي والمنزلة الاجتماعية. والفرق بين المقام الاجتماعي والمنزلة الاجتماعية فرق يتعلق بجانب التأكيد بأكثر مما يتعلق بالمضمون. (ميشال مان: 1999، ص: 685).⁽²⁰⁾ وفي بعض الأحيان، يستخدم لفظ (التبجيل) (Esteem) كمترادف للمكانة، وإن كان يعبر بشكل أفضل عن تقييم الخواص الشخصية وخاصة أداء الدور، حيث يقال أن الناس، وليس المراكز، يحظون بدرجة عالية من (التبجيل)، يتحقق عنهما نسق للمكانة والأنساق المستقرة في المجتمعات التقليدية وتكون الألقاب، والأوسمة، ولغة الخطاب، واللهجة والتعليم، والمزايا، والملكية بمثابة شهادة على التفاصيل الدقيقة للدرجة الاجتماعية وما يندرج تحتها من فوارق ومميزات المكانة. (ميشال مان: 1999، ص: 686).⁽²¹⁾

11. مكانة مختارة (Choici status): تشير لوضع فرد معين في جماعة أو مجتمع بالذات ويعتمد هذا الوضع على عدد من حالات الاختيار الإيجابية والسلبية التي واجهها هذا الفرد في إحدى الاختبارات الوليد متربة (أحمد زكي بدوي: ص: 59).⁽²²⁾

12. بناء المكانة بالمستوى العمري: حكم كبار السن (Gerontocracy): لقد صك هذا المصطلح علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية في الثلاثينات لوصف بعض المجتمعات في أفريقيا جنوب الصحراء، حيث يعتمد نظام التدرج الطبقي الاجتماعي على طبقات العمر أو مراتب العمر، عندما تسند الأدوار العامة إلى فئة عمرية (ونوعية أيضا)، وهي أدوار ترتبط بصلاحيات ووظائف رئاسية يختص بها كبار السن، أما اليوم فيستخدم المصطلح بشكل أكثر عمومية لوصف المجتمعات، حيث يسيطر كبار السن من الذكور على أعلى

أدوار صناعة القرار وعلى الأدوار السياسية. وهو ظرف يعود أحيانا بعواقب سلبية، خاصة في فترات التغير السريع أو عدم الاستقرار، حيث تشتد الحاجة إلى التغيير الإبداعي المجدد وإلى المرونة (جوردن مارشال: 2000، ص: 656).⁽²³⁾

13. دور الأنثروبولوجيا العمرية في بناء المكانة (Anthropology of age): لم يحظ العمر، كأساس للتنظيم الاجتماعي، باهتمام أنثروبولوجي منظم، كما لم يتم فحص الظروف المختلفة الخاصة بالتمايز العمري بشكل ثقافي مقارن. حيث تركز معظم الدراسات الخاصة بالجماعات العمرية على الفئات العمرية الصغيرة - على الرغم من إمكانية وجود أنواع أخرى من الفئات العمرية المهمة. ويلاحظ أن العديد من الأنثروبولوجيين قد اعتمدوا في جمع مادة بحوثهم على الإخباريين كبار السن في الميدان، لكن قلة منهم فقط هي التي اهتمت بفحص الآليات التي يصل بمقتضاها الشخص الكبير إلى الحكمة أو المعرفة المتفوقة، وعلاقة ذلك بالقوة الاجتماعية السياسية.

ويولي المجتمع الحديث عناية خاصة لقضية الصراع العمري، حيث توضح الشواهد الأنثروبولوجيا أن العمر بحد ذاته يتم تحديده وتوظيفه بشكل متغير داخل المجتمعات المختلفة، لذا فإن نمط الصراع ودرجته بين الجماعات العمرية يتفاوت من مجتمع لآخر تفاوتاً كبيراً. ويعتمد ذلك على تعريف الجيل، وعلى الفصل المكاني أو التنظيمي بين الجماعات العمرية، وعلى أنماط الملكية وحياسة السلطة وانتقالها داخل المجتمع (شارلوت سيمور - سميت: 1992، ص: 150).⁽²⁴⁾

1. علاقة المكانة بالمراتب العمرية: طبقات العمر أو مراتب العمر (Age-Sets Age-Grades) تحدد المكانة الاجتماعية، والأدوار، والأنشطة المسموح بها لأولئك الأشخاص الذين ينتمون إلى هذه الجماعات أو الشرائح. وعادة ما يكون الانتقال من شريحة إلى أخرى مصحوباً بمراسم اجتماعية جماعية منظمّة، حيث تميز شعائر الانتقال التغير في المكانة والدور الاجتماعي. ويمكن إطلاق هذا المصطلح على المجتمعات الصناعية الحديثة، إلا أنه عادة ما يستخدم للإشارة إلى مجتمعات ما قبل الصناعة، التي قد تفرض نسقاً للتدرج يستند إلى طبقات العمر (حيث يقسم الأعضاء إلى شباب وعذارى وكبار السن وهكذا) في البناء القبلي أو القرابي السائد. (شارلوت سيمور سميت: 1992، ص: 898).⁽²⁵⁾ تلعب الفئات العمرية دوراً بارزاً في عملية الانتقال.

2. قهر اجتماعي (Social Restraint): لا يترك المجتمع الحياة الاجتماعية بدون قواعد أو ضوابط، بل هو يضع نظاما، وقوانين فتدشأ عادات وتقاليده، يفرض على الأفراد اتباع كل ذلك في تصرفاتهم بشقئ مناح الحياة الاجتماعية، الاقتصادية السياسية، العائلية، الدينية، التربوية الأخلاقية. والمجتمع لا يكتفي بإلزام الأفراد اتباع النظم التي وضعها، بل يراقب الأفراد ويحاسنهم على أعمالهم التي لا تتمشى وهذه النظم، وهذا ما نسميه الضبط الاجتماعي (Social control). الذي ينقسم إلى نوعين ضبط إيجابي (Positive): وهو عبارة عن الوسائل التي يلجأ المجتمع إليها لتشجيع الأفراد على التمسك بالنظم الاجتماعية وحفزهم التمسك بمثالياته. ومن تلك الوسائل الفنون التي عن طريقها يوحى المجتمع للفرد أو يغريه بالتمسك بتلك المثاليات، ونظام الجوائز والشهادات وغيرها من أنواع التشجيع الاجتماعي التي من شأنها أن تجعل الفرد يتغالى في تحقيق مثاليات المجتمع وما يدعو إليه من أنماط. أما النوع الثاني، فهو الضبط السلبي (Négative): وهو عبارة عن الوسائل التي يلجأ إليها المجتمع لعقاب الخارجين على مثالياته وقواعده. لقد أراد" اميل دوركهايم" أن يجعل القهر ميزة وخصيصة من خصائص العمل الاجتماعي عرفه بأنه "عمل تلازمه قوة ضاغطة وقاهرة قوة المجتمع" وفي هذا التعريف شيء من التوسع فالقهر ميزة العمل الاجتماعي دون أن يعبر عن حقيقته (إبراهيم مدكور: 1975، ص: 470).⁽²⁶⁾.

3. الامتثال لقوانين الضبط الاجتماعية (الوجدان الجمعي) يمكنه بناء عناصر المكانة في المجتمع: يستخدم مصطلح الضبط الاجتماعي (Social Control) على نطاق واسع في علم الاجتماع ليشير للعمليات الاجتماعية التي ينتظم بها سلوك الأفراد والجماعات. لكل مجتمع معايير وقواعد لضبط السلوك (ولا يمكن تصور وجود مجتمع دون وجود أي نوع من هذه الضوابط). فلكل مجتمع آليات لتأكيد والامتثال للمعايير للتعامل مع الخروج عليها أو الانحراف عنها ومن هنا، فإن الضبط الاجتماعي ملمح المجتمع موضع اهتمام عدد كبير من علماء الاجتماع ليس علماء الاجتماع المهتمين بالانحراف فقط. والمسألة بالنسبة لعلماء الاجتماع ليست تأكيد وجود الضبط الاجتماعي فقط بل المسألة أكبر من ذلك.

4. ضبط المجتمع المحلي (Community Control): يستخدم هذا المصطلح على نطاق واسع، وبصورة متكررة وفضفاضة. فهو يستخدم في ممارسات الخدمة

الاجتماعية، أو في حالات إطلاق السراح المشروط، أو في الطب النفسي، للإشارة إلى شكل من أشكال رعاية المجتمع المحلي، أو العلاج، أو نظم التعامل (وكثيرا ما يشكل جزءا من عملية التخليص من الحجز)، أو للإشارة إلى برامج مثل العلاج المؤقت، أو نظم خدمة المجتمع المحلي، أو حالات الاعتقال المنزلي المراقب إلكترونيا. كما يستخدم هذا المصطلح في نظريات علم الإجرام، ونظرية الضبط الاجتماعي على نطاق واسع، للفت الانتباه إلى الطرق التي تتحول بها أنساق الضبط لجزء من نسيج المجتمع المحلي، بحيث يتم ضبط المجتمعات المحلية والأفراد، بالضبط الذاتي من خلال آليات المراقبة وفرض نظام معين، والإبلاغ عن انتهاك القواعد (جوردن مارشال: 2000، ج/2، ص: 887).⁽²⁷⁾

رابعا: النظريات المفسرة للمكانة الاجتماعية:

1. نظرية الجماعة المرجعية لـ "هايمن" (Hyman Refence Grou Theory) يرى "هايمن" أن المكانة لا تقتصر على امتلاك كل ما له علاقة بالناحية الاقتصادية، بل هي أيضا تتضمن ما له علاقة بسمات الشخصية في الجوانب العقلية والثقافية والأخلاقية والجمالية (الجسمية) والانفعالية (اندروز: 1968، ص: 943)⁽²⁸⁾. والمكانة تتحدد كما يرى "هايمن" من خلال تقويم الأفراد لأنفسهم في الجوانب المختلفة التي ذكرت أعلاه مقارنة بالجماعة المرجعية، وهي كأي جماعة تستعمل معيارا للتقييم الذاتي أو لتشكيل الاتجاه، فالجماعة هنا تحاول وضع مجموعة من الأحكام لضبط السلوك، وهنا تسمى بالجماعة المرجعية للتقييم الذاتي كجماعة الزملاء والأصدقاء (Mann: 1969, P: 37,40).⁽²⁹⁾ وفي دراسة "لهايمن" عام 1942 عن المكانة القائمة على إدراك الفرد لموقعه مقارنة بالآخرين، سأل مجموعة من⁽³¹⁾ الطلاب البالغين، عما إذا كانوا يعتقدون أن مكانتهم أعلى أو أقل من الطلاب الآخرين في الجوانب الاقتصادية والعقلية والمزاجية والجمالية، فوجد أن تقييم الفرد لنفسه يقترن بإدراكه لمكانته في نوعين من الجماعات، هما:

- الجماعات العضوية: مثل تلك الجماعات التي ينتهي إليها فعلا.-الجماعات التي يهوى أن يكون عضوا فيها: فالمعلم مثلا قد يقيم ذكائه مقارنة بزملائه في المدرسة، مثلا (جماعة عضوية)، وفي أوقات أخرى قد يقيم ذكائه مقارنة نفسه بكيان المعلمين الآخرين (جماعة يرغب الانتماء إليها) (كرتش: 1974، ص: 170)⁽³⁰⁾، وهناك جماعة أخرى،

يمكن أن نطلق عليها جماعة الضغط على الفرد، تنبثق معالمها من طبيعيات التنشئة الاجتماعية للفرد، يحن لها دائما، كلما خرج من قريته، ومن عناصر بناء المكانة الاجتماعية:

- التقدير (Esteem): يعني تقسيم إنجاز الفرد بالنسبة للمكانة التي يشغلها، سواء كانت هذه المكانة مرتفعة أم منخفضة، وسواء كان الفرد يحصل على تقدير مرتفع (تعزيز) أو منخفض. فإنّ التقدير طبقا لحكم الفرد يتوقف على قيامه بدوره على خير وجه مهما كان هذا الدور مرتفع أو منخفض الهبة. يختلف التقدير عن الهبة (Prestige). (أحمد زكي بدوي: ص: 94).⁽³¹⁾

2. نظرية الجماعة المرجعية لـ "كيللي ونيوكمب وستوفر": تنطلق هذه النظرية من فكرة اتساق الذات مع الآخرين، وهذا يعني أن الأفراد يقيمون مكانتهم من النتائج التي يحصلون عليها استنادا للسلوك والكفاءة التي يظهرونها مقارنة مع السلوكيات والنتائج التي يحصل عليها الأفراد الذين يقارنون أنفسهم بها نتيجة إدراك التشابه. للأشخاص المرجعيين في جوانب عدة. ويحدث الاتساق مع الآخرين عندما تكون المكافأة أو التقدير نتيجة الجهد المبذول من الأخرى.

3. نظرية المقارنة الاجتماعية (Social compria on theory): ترى هذه النظرية أن الأفراد أينما وجدوا، فإنهم رهن عمليات المقارنة الاجتماعية، يصدرون الأحكام حول أنفسهم، وحول بعض الناس. وقد صاغ هذه النظرية العالم "ليون فستنكر"، وهي تؤكد على تأثير التفاعل الاجتماعية على الآراء والاتجاهات، كما تشير إلى أن عمليات التأثير الاجتماعي وأنواع معينة من السلوك التنافسي سببها الحاجة لتقويم الذات وتحديد المكانة، وهذا لا يتحقق إلا من خلال عمليات المقارنة مع الأشخاص الآخرين (Festinger: 1954, P: 117).⁽³²⁾

4. نظرية المقارنة الاجتماعية والاستقطاب: تعد هذه النظرية التي جاء بها "جونسون" امتدادا لنظرية المقارنة الاجتماعية "لفستنكر" تفترض أننا نقارن أنفسنا بالآخرين وغالبا ما يكونون زملائنا أو أصدقائنا المقربين. وترى أيضا أننا لا نريد فقط أن نكون كالآخرين أو أعلى منهم بقليل، بل فوق المعدل أو أعلى بكثير لنستقطب الآخرين من حولنا. وحسب رأي "ووالاش ونك"، فإن هذا يؤدي إلى الحصول على التوافق الشخصي والاجتماعي

والمكانة العالية، فيوجه الفرد اهتماما نحو الخارج ويصبح مولعا بالناس ويتوافق مع توقعات الجماعة.

5. نظرية التغير السلوكي والمعرفي (Cognitive and Behavioral Change): تتناول نظرية التغير السلوكي والمعرفي ل"ميلتون روكيج Melton Rokeach" موضوع معتقدات الفرد عن نفسه، فهي ترى أن الفرد يشعر بمكانته العالية إذا كان راضيا عن نفسه لإدراكه أنه ذكي وماهر، وكفاء وخلق ومقبول لدى الآخرين، والعكس صحيح أيضا، وهو يحصل على الإدراكات عن طريق المقارنة الاجتماعية (Shaw and Sostamso : 1985, P : 263⁽³³⁾).

6. النظرية الانقسامية: إن مفهوم المجتمع الانقسامي لا يكون الحديث عنه من قبل الباحثين دون الرجوع للتعريف الذي وضعه "إميل دوركهايم"، ومع هذا يبقى الإسهام الميداني ل"إيفانس بريتشارد" هو الأساس، والمرجع الذي تبناه معظم رواد النظرية الانقسامية، فنجد في قاموس الأنثروبولوجيا التعريف التالي: (مجتمع إنقسامي Segmentary society)، مجتمع ينقسم إلى وحدات تنتسب إلى سلف بعيد، ويرتبط بعضها ببعض بروابط القرابة. فالقبيلة الكبيرة تنقسم إلى عشائر (Clan)، التي تنقسم بدورها إلى أفخاذ (Lineages). وتعيش كل وحدة في إقليم خاص بها، وتمارس فعاليتها الاقتصادية بحرية، فهي مستقلة عن الوحدات الأخرى، ولا تخضع في حياتها السياسية إلا لسلطة رئيسها المباشر. فليس في المجتمع الانقسامي سلطة موحدة ويبني عناصر التحول داخل الكيانات على:

1. الإنشطار (Fission): يعد مفهوم الانشطار من المفاهيم الأساسية في النموذج الانقسامي، وقد صك "إيفانس بريتشارد" هذا المفهوم في سياق بحثه حول النظام السياسي لقبائل (النوير السودانية)، فأكد أن قبائل النوير تنقسم لقسمات، يمكن تسمية القسمات الكبيرة، بفروع القبيلة (Tribal sections)، التي تتجزأ حتى المستوى الثالث (الأدنى) من القبيلة. وهذه الفروع تتكون من مجموعة من المداشر، التي تتكون بدورها من مجموعات تربط بينها علاقة القرابة (مختار الهراس: 1988، ص: 17⁽³⁴⁾).

2. مفهوم التميز في بناء المكانة: أَلَف "بيربورديو" سنة 1979 كتابا تحت عنوان (التميز... النقد الاجتماعي للحكم) (La Distinction : Critique sociale du jugement)، حيث يقدم منظورا سوسيولوجيا للأذواق وأساليب الحياة. يعد هذا الكتاب من أفضل

عشرة كتب في علم الاجتماع بالقرن العشرين، حسب تصنيف الجمعية العالمية للسوسيولوجيا. يركز فيه على الأفراد المجتمعيين الذين يتصارعون ضمن حقول وفضاءات مجتمعية مختلفة، حول مواقع السيطرة والحظوة والتميز الاجتماعي والطبقي، من خلال ما يملكونه من رأسمال اقتصادي وثقافي. إذ تبدأ الاختلافات في شكلها الضعيف إلى الاختلافات الجذرية، ثم الاختلافات الطبقية. ومن ثم يعبر الكتاب عن الصراعات الدائمة بين الأفراد داخل بنية المجتمع من أجل الاختلاف والتميز. ويعني هذا فلكي يكون الإنسان معروفاً في حقل مجتمعي معيناً، فلا بد أن يتميز عن الآخرين إما بالاختلاف عنهم، وإما بالانزياح عنهم ثقافياً واقتصادياً ولغوياً ورمزياً واجتماعياً (جميل حمراوي: 2018، ص: 244).⁽³⁵⁾ بمعنى أن هناك ثنائية "التوافق والتميز". ولقد أثبت "بير بورديو" أن أنماط الحياة وأساليبها تختلف حسب مواقع الناس الاجتماعية. أي أن أذواق الناس تعكس طبيعة وضعيتهم المجتمعية. ومن ثم فالهابيتوس وسيط تلك الممارسات والمواقع المجتمعية. وللتمثيل، درس "بير بورديو" طبيعة التغذية والملابس عند العمال والأغنياء، فالعمال يهتمون بكل ما هو ضروري وأساسي في حياتهم، بسبب حاجاتهم إلى رأس مال اقتصادي، وبالتالي فملابسهم عمالية خشنة، وتغذيتهم ذات طابع مضموني، تنسم بالكم من جهة وتكون دسمة كما أن ذوقهم الفني والجمالي لا يخرج عن الطابع الواقعي الملزم، في حين يركز الأغنياء على الشكل ويتأنقون في ملابسهم وتغذيتهم بالتركيز الواعي على النوع الكيفي، ولا يهتمهم الكم في ذلك ويهتمون فنياً وجمالياً بما هو تجريدي وسميائي وتخيلي. يعني هذا أن الأذواق وأساليب الحياة تختلف من طبقة اجتماعية لأخرى، حسب طبيعة الرأسمال الموروث، وحسب الحقل الذي تنتهي إليه كل فئة اجتماعية (Pierre Bourdieu : 1979, P : 670).⁽³⁶⁾

تعد الظاهرة البنائية الانقسامية بأقاليم ولاية ادرار مصدراً أساسياً وحاضنة للتصورات والتمظهرات الوصامية (الوصم/العينونة/العلامة/الوسمة/الصداع/ Stigma/ Labelling تحضن بواسطة المخيال الاجتماعي التمثيلات السلوكية المستدمجة ضمن الخطاب الدينية (الدين الشعبي) انتاجا واعادة النتاج الصور الدونية بواسطة الثقافة المحلية مصدريتها العرف الذي يستوحي التفاعلات المجتمعية من (الزيارة/الفتحة/ الفلكلور بنوعيه مادي واللامادي/نظم الفقارة/الخماسة الخراصة/اقربيش/مظهريات

تمولايت/ تمرايطت/ تحرطنيت/ تعبيديت) مما يسمح للمجتمع توزيع الشهادات الأخلاقية على أفرادها.

خامسا: مكتزمات هدر بناء عناصر المكانة الاجتماعية:

1. المكانة ومفهوم (الشريف) تمولايت، تمرايطت، وتنحطنيت بمجتمع ادرار منذ الستينات، وبدافع من الأبحاث المجددة التي أشرف عليها "ج.ج. بيرستياني" (1965) و"ج.بيترفرز" شغلت فكرة الشرف مكانة مركزية في الدراسات الأنثروبولوجيا الأنكلوسكسونية تشكل هذه الفكرة في الواقع أداة قيمة من أجل مقارنة المجتمعات المختلفة لهذه المنطقة فيما بينها. لكن التباس مضمونها قد طرح مشاكل نشأت من أفكار أخرى يفترض أنها مكونات لها: العفة، الإقدام، الثأر، الضيافة، الحماية، السخاء، الرأفة، الاعتدال، النبل والمهابة. وهكذا ترسم هذه العبارات ملامح حقل معجمي أكثر بكثير مما تسمح بتحديد مفهوم محلي أو تعريف فكرة أنثروبولوجيا. لنقتصر على مفهوم الشرف، يختلف المؤلفون في ما يخص وظيفة القيم المنسوبة لهذا المفهوم. فلقد اعتبر الشرف كمثال للمساواة "بيت-ريفرز، 1977" أو كمبدأ للمساواة لا علاقة له بالسلطة الاقتصادية "ليزون تولوز أنا، 1983" أو السياسية، يرتبط فقط بأخلاقية النزاهة، لنيل الجسد والروح "كاستل، 1964". وعلى العكس، من ذلك يعتبر "ج.دايفس، 1977" و"إ.كوتيلرو، 1971" أن الشرف وثيق الارتباط بالثروة، حتى أنه يظهر كأحد عوامل التراتبية الاجتماعية. فقد اشار كلا من "بيرورديو" و"بيرستياني، 1965" لدرجة تناقض رهانات الشرف مع المثال الأعلى للمساواة في المجتمع القبائلي الجزائري. ويظهر ان الشرف عند "ج.شنايدر" مرتبطا بإيديولوجيا الدفاع عن الإرث في المجتمعات البدائية، في معظم الدراسات المكرسة للمجتمعات المتوسطية كانت إشكالية الشرف مرتبطة باستمرار بسائر الإشكاليات الموجودة. هكذا تمت دراسة الشرف في سياق الزبائنية "بلوك، 1975؛ وشنايدر، 1976؛ وايت، 1980" ولوحظ تقارب بين الشرف والبركة، (بركة إلهية) تتجلى في عجائب أو آليات.

2. هدر عناصر بناء المكانة : تهدر عناصر بناء المكانة بمجموعة من العمليات التي يضبط المجتمع صيرورتها تفاعل الافراد داخلها للمحافظة على بقائه، ولضبط سلوكيات الافراد، ان تفعيل نظام (الخراصة، والخماسة، والمثالثة)، والفعاليات الفلكلورية كلها عوامل تؤدي لهدر كرامة الانسان وتقوض الشعور بوجوده الفعلي، فعندما تكسر

الخراصة في الخراص ينزل من فئة اجتماعية لأخرى اقل درجة بسبب فقدان عناصر الذمة التي تبنى عليها الشخصية، وكذلك الحال بالنسبة للخماس اذا ما حصلت جراحة أو سقطت الفقارة ،أو أكل الجراد المنتج فانه لا يحصل على شيء فيذهب جهده هدرًا. كما ان مكانة الفرد تهدر بوسائل رمزية ثقافية دونما شعور منه فهو يهدر شخصيته اثناء تجمعات الإفراج المتفرجة على الحلقة التي يدور حولها، فالتقدير والحمدلة تأتي من المتفرج الذي يقيم التفاعلات الفلكلورية. ويضبط التفعيل وفق ثلاثة منتظمات (ضربات اقلاق / التفاعل الأرجلي (الرجلين) بالحلقة / تناغم تفعيل الصيغة مع حركات الخراج داخل الدائرة). في كثير من الأحيان نستدعي احد الأشراف للدخول في الحلقة وتخرج الفرقة، الواقع هنا يتعلق شرف فئة عائلية في حوض المتوسط بحالة توازن بين طهارة الدم النسبية من جهة، واعتبار الاسم من جهة أخرى. يسخر كل شيء داخل الفئة لتأمين هذا التوازن، يسهر كل من الجنسين على أن يتصرف الآخر بكامل الاحترام للتقاليد: يسهر الرجال على احترام الحشمة الجنسية للنساء من أجل ألا تفسد طهارة نسبهم، وتحت النساء الرجال على عدم الإساءة إلى سمعتهن. إن فقدان الشرف يولد (العار)، هكذا يمكن أن تجبر المجموعة على إعادة التوازن المفقود، بالقوة أو بالحيلة لأجل قصير المدى نوعا ما. في المجتمعات الإسلامية، يتجلى هذا الاهتمام للمجموعة بالحفاظ على توازنها الوضعي عندما يتزوج أحد أعضائها من خارجها. بناء على ذلك، ينادي الشرع الإسلامي الحنفي بالتكافؤ بين الزوجين-أي الزوج وحميه العتيد-بقصد تحديدات مثل الوضع (حر)، الولادة، السمعة، الإيمان، العمل، وخاصة في موضوع التراث. تنتهي الدوافع والاستراتيجيات الاجتماعية المرتبطة بالشرف بأن تتحول إلى قواعد تشريعية (بيار بونت وميشال إيزار: 2011، ص: 583).⁽³⁷⁾

3. التراتبية الاجتماعية المغلقة لا تبنى مكانة: تعد الطبقة المغلقة (Caste): نظام يتسم بدرجة فائقة من التعقيد البنائي، تم تبسيطه تبسيطا مخلا من جانب أولئك الذين يسعون إلى تأسيس نمط مثالي للتدرج الاجتماعي الصارم المستند إلى معيار الانغلاق الاجتماعي الصارم. وقد استخدم المصطلح في كتابات "ماكس فيبر" كمترادف لتدرج المكانة السلافي، ومثل أحد طرفي المتصل الذي قارن ما بين المكانة التدريجية المستندة إلى الشرف وتلك المستندة إلى الطبقات التجارية ونظام السوق. ولعل أوضح تعريف للمفهوم هو الذي قدّمه "أندريه بيتاي André Beteillé" ووصف فيه الطائفة

بأنها (مجموعة صغيرة ومحددة من الأشخاص يتسمون بسيادة نظام الزواج الداخلي، والعضوية المتوارثة، وأسلوب معين من الحياة الذي قد يشتمل في بعض الأحيان على التخصص المتوارث في مهنة معينة، وعادة ما ترتبط بطقوس متميزة إلى حد ما للمكانة في إطار نظام تدريجي يستند على مفهوم الطهر والندس. فإذا نظر الآخرون إلى أفعال المرء نظرة سلبية، وتكلموا معك ووصفوا أفعالك بهذه اللغة السلبية وبطريقة حاسمة، فإنك حينئذ سوف تبدأ في التفكير في نفسك على هذا الأساس ووفقاً لهذه التعبيرات. وبهذا الشكل فإن هويتك الشخصية سوف تتشكل من خلال هذه التعبيرات. وهكذا، فإن النوع أو الوصمات التي تطلق على بعض الأفراد، مثل قولهم: مدمن أو متعاطي مخدرات، أو مجنون أو مريض عقلياً، أو سفاح، أو متحرش بالأطفال لا تعد نوعاً أو صفات حيادية، بل إنها تتضمن في ذاتها نوعاً من النقد والإدانة لذلك النوع من الأشخاص الذين تصفهم (أندرو ادجار وبيتر سيدجويك: 2014، ص: 720).⁽³⁸⁾

4. من عناصر ضياع بناء المكانة الاجتماعية النظر للآخر بصورة مخالفة لنا: تبدو سوسيولوجيا (العرق) (Sociology of Race): كما يراها علماء الاجتماع أن كتابة لفظة (عرق) بين علامتي تنصيص الآن تعد طريقة مفيدة للإشارة إلى أن تصنيف الأفراد والجماعات على هذا النحو لم يعد يستند إلى أي تمييز بيولوجي مقبول بين التكوين الجيني للأعراق المختلفة. فمن الواضح أن التقسيم العنصري أو العرقي كثيراً ما يعتمد (ولكن ليس دائماً) على الاختلافات الظاهرة، كملامح الوجه، ولون الجسد، فهذه الاختلافات لا ترتبط أو تقترب باختلاف في الجينات (أي المكونات الوراثية). كما أنه لا يوجد رأي علمي متفق عليه يقر بأن هناك اختلافات ثابتة في الذكاء ونمط الشخصية وغيرها بين الجماعات السكانية التي تصنف على أساس تلك الاختلافات الشكلية (جوردن مارشال: 2000، مرجع سابق، ص: 694). (38) إن موقع الجماعات المحددة على أساس عرقي في نظام التدرج الاجتماعي للمجتمع الواسع، يعد من المسائل المثيرة للكثير من الجدل. ويعكس بروز هذه المسألة في جزء منه الظروف التاريخية التي تنشأ في ظلها ذلك الفرع من علم الاجتماع، ومنها تراث الرق واستمرار هجرة الأقليات من الملونين إلى الولايات المتحدة، وتاريخ حقبة الاستعمار وهجرات الأقليات مؤخراً من دول العالم الثالث لأوروبا. وهناك العديد من الاتجاهات المتباينة في هذا الخصوص.

إن تطور النظريات الوظيفية في الولايات المتحدة الأمريكية منذ الحرب العالمية الأولى على يد "روبرت بارك" وغيره، تفترض أن هناك تمثلا تدريجيا للأقليات المصنفة على أساس عرقي داخل نظام التدرج الخاص بالأغلبية في المجتمع المضيف، وبالتالي، استعادة التوازن الاجتماعي الذي اختل بوصول تلك الأقليات. زاد من التعصب والتمييز بين الظواهر المؤقتة التي حدثت في تلك المرحلة الصعبة من إعادة التكيف. ويتم التأكيد من وجهة النظر هذه على حاجة تلك الأقليات إلى التخلي عن قيمها وأساليب معيشتها وقبولها لغيرها الذي يفترض أنه يميز المجتمع المضيف. ولكن هذه النظرية واجهت نقدا شديدا لكونها تفترض افتراضا متحيزا (ينظر: التمرکز حول السلالة) فالتمثيل يجب أن يكون حصيلة المواجهة بين المجتمع المضيف والأقليات المهاجرة، وللاختلالات البادية الآن في أوروبا (ألمانيا، فرنسا، إيطاليا، إسبانيا بريطانيا) فقد أدى ارتفاع الهجرات الغير منظمة لخلخلة في أداء الكثير من المصالح وفرض على هذه الدول ان تنظر للظاهرة كواقع اجتماعي معيش، يتطلب النظر اليه من عدة مقاربات، بل ضرورة البحث عن الاسباب الاساسية التي تجعل شبانا في مقبّل العمر يهجرون اهلهم وارضهم واطنانهم، يتحملون مشاق ومتاعب السفر(مسافة / مالا/ اجتماعا / نفسيا) يركبون قوارب الموت) أكل الحوت ولا أكل الدود) في المحيطات والبحار والبراري ليلتحقوا بالفردوس المعلن عنه في الهرجة الاعلامية التي تبثها القنوات الفضائية. فمن المسؤول اذا الدعاية المضللة أو الفقر المدقع أو عدم التوزيع العادل لخيرات الأمم؟. هناك اتجاه آخر أكثر دقة وإحكاما من ذلك، يتجلى بوضوح في أعمال "جون ركس Rex. J"، الذي يبنى على مقدمات استمدتها من "فيير". فما يطلق عليه "جون ركس" مواقف العلاقات العرقية يتضمن نمطا خاصا من الصراع داخل الجماعات، وينتهي إلى أن الجماعات المصنفة على أساس عرقي تصبح ذات موضع مميز في النظام العام للتدرج الاجتماعي.(جوردن مارشال: 2000، مرجع سابق، ص: 693).⁽³⁹⁾

5. إخفاق التدرج في بناء المكانة الاجتماعية: قد يخفق التدرج الطبقي (Stratification): في ترتيب الأفراد ترتيبا منظما لفئات محددة، خاصة في المجتمعات التي تعرف نظام الدولة، حيث يتخذ هذا التدرج الطبقي شكلا نظاميا، ويوصف بأنه تدرج طبقي اجتماعي. والتدرج الاجتماعي ينشأ عن عدم المساواة الاجتماعية، كما يخلق هو نفسه قدرا من عدم المساواة. وترتبط دراسة التدرج الاجتماعي بدراسات

الأنثروبولوجيا السياسية ودراسات القوة من منظور مقارنة. يرى "بيريمان G. D. Berreman (1971)" أن اللامساوات تنشأ عن (تفاوت) الأشخاص، الذي يعد في ذاته ظاهرة طبيعية وعالمية. وتلك اللامساوات تمثل عملية تقويم اجتماعي للفروق بين الأفراد ويصف "بيريمان" التعبير السلوكي عن اللامساوات بمصطلح (السيطرة)، ويرى أن الارتباط بين اللامساوات والسيطرة ينبغي أن يسمى (اللامساوات الاجتماعية)، وفي المجتمعات القائمة على المساوات أو التي لا تعرف التدرج الطبقي يعتمد تقسيم العمل، وتوزيع المكانة على العمر، والنوع، والسمات الشخصية. وتخضع السيطرة والمكانة في مثل هذه الجماعات غالبا للتفاوض وللتأثر بالظروف التي توجد فيها. أما في مجتمعات التدرج واللامساوات، فيتخذ التفاوت الاجتماعي شكلا نظاميا ويتمثل في تدرج هرمي للمكانات يرتبط بكيانات اجتماعية مترتبة تتجاوز الفروق الفردية في القدرات أو العوامل الخاصة الأخرى. وفي مجتمعات الكيانات الرئاسية (الأكبر من القبيلة) أو المجتمعات الرعوية أو المجتمعات السابقة على الزراعة يقوم التدرج الاجتماعي على القربة أو أداء الأدوار المتخصصة كدور المحارب أو دور الكاهن. وفي مجتمعات التدرج يقوم الترتاب على نظام التدرج الطبقي الاجتماعي، حيث يصنف جميع أفراد المجتمع تبعا للسمات غير القربانية، وهي التي تستخدم بدورها لتيسير الحصول على الموارد الحيوية. وهي الأسباب الأساسية في تنامي الغبن والحكرة واللامساوات، وتفشي الرشوة والمحسوبية بين الناس، وسيطرة المال العفن على الاقتصاد هذه كلها مدعات لتنامي فكرة البحث عن البدائل والهروب من الدونية والعزل الاجتماعي عما يعيشه الشباب.

وقد أثبت التمييز بين المكانة المكتسبة والمكانة الموروثة بعض الفائدة في الأنثروبولوجيا، رغم أنه اتضح أنه تمييز مغرق في البساطة من حيث كونه معيارا للتمييز بين الأنماط الاجتماعية. ومع ذلك فإن هناك تناقضا عاما بين نظم التدرج القائمة على الالتزام الصارم بالمكانة المكتسبة بالميلاد، مثل نظام الطبقة المغلقة أو العنصرية الرسمية ونظم التدرج الأكثر انفتاحا أو مرونة القائم على نظام الطبقات. ومع ذلك فإن النظام الطبقي نفسه يتجه تدريجيا إلى توريث المكانة (الوراثة) وإلى إضفاء صفة القداسة على الفروق الاجتماعية من خلال إيديولوجيات تروج للمزايا الطبيعية أو المقدسة، كما أوضحت الدراسات الحديثة لنظام الطبقة المغلقة بأن تلك الطبقات تتضمن قدرا لا بأس به من القدرة على تعديل المكانة أو اكتسابها، على أساس يكون في

الغالب جماعيا وليس فرديا. ويوجد بين نظام الطبقة المغلقة ونظام الطبقة الاجتماعية، اللذين يعدان نموذجين متطرفين لتوارث المكانة واكتسابها (شارلوت سيمور-سميث: 1992، ص: 241).⁽⁴⁰⁾

الخلاصة:

كما يمكن ان تهدر المكانة وعناصرها بواسطة تفاعل الحواضن الأساسية لتمرير التمثلات والتمظهرات الإستدماجية المطبوعة من خلال التنشئة الاجتماعية، والمتمثلة في حواضن استخفاء الفكر التراتبي الانقسامي المستدرج بواسطة التفعيل العاداتي للمجتمع، فظاهرة (الفتحة، نظم الخماسة، الخراصة، العادات والتقاليد الاحتضائية المدلجة في المخيال الاجتماعي، التماهيات، المثلثة الشخصية، التفعيلات الرمزية الإستغيبائية المتمثلة في بسط التفاعل المدلج ضمن العنف الرمزي المموه بخطاب ديني لتحقيق المصلحة الخاصة، التماهي بالغير (المثلثة التماهوانية بالآخر) لإحداث النقل الخرافي بين الأفراد، أن مدلجة الخطاب العمودي الكرزمي المعبر عن ظاهرة فوقية داخل فرضيات (التمولايت/ التمرابطت/ التحرطنيت) لبناء المكانة المتخيلة تجريديا نمطيا لدى من لم تدركه مسارات القرن الواحد والعشرون، ولم يدرك ان التغييرات لامحالة، وإن تأخر فهو آت طالما الدورة الفلكية تدور. فبقيت هذه الحواضن المدلجة تفاعليا عائقا في بناء المكانة، بل عملت على هدم عناصرها بواسطة التفاعلات الوصمية الخطابية (انت ابن خماس / انت ابن خراص / انت ابن حرطاني) ولم تسلم المرأة والبنات من مثل هذه التواصيم الغرض منها التقليل من قيمة الفرد وابعاده عن التقبل الاجتماعي. (انت ابنت هجالة / انت عاقرة / انت باثرة / انت عانسة) تدرج هذه التصورات والتمثلات في الخطابات والتواصلات بين الخطابات التفاعلية، فتؤدي لهدر قوى الذات الفاعلة، تناظر الصورة الخارجية ولا تهتم بالجواهر والقدرات والمقدرات الفردية المكتسبة علمية او ثقافية.

المراجع المعتمدة في الدراسة:

1. صلح الصالح: الشامل قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية، انجليزي عربي، دار عالم الكتب، ط/1، 1999.
2. شارلوت سيمور-سميث: موسوعة علم الإنسان، ترجمة مع من الأساتذة عنهم محمد الجوهري ط/2، 2009.
3. احمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، انجليزي، فرنسي، عربي، مكتبة لبنان بيروت، 1992.
4. ميشال مان: موسوعة العلوم الاجتماعية، ترجمة عادل مختار الهواري وسعيد عبد العزيز مصلوح، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1999.

5. عدلي محمود السمري: علم الاجتماع الجنائي، دار المسيرة للطباعة والنشر 2018.
6. احمد عاطف غيث : (اخرن) قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية دار المعرفة الجامعية الاسكندرية : 1989.
7. اندرو ادجار وبيترسيد جويك: موسوعة النظرية الثقافية، المفاهيم والمصطلحات الأساسية، ترجمة هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة، 2014.
8. شارلوت سيمور، سميت : موسوعة علم الانسان، ترجمة مجموعة من الاساتذة عنهم محمد الجوهري، ط/2، 2009.
9. مصطفى حجازي: التخلف الاجتماعي، مدخل الى سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي، البار البيضاء المغرب، بيروت ط/9، 2005.
10. الحسين إحسان محمد: نظرية العنف الرمزي بين التكذيب والتحويل صحيفة الوسط البحرينية العدد 3285، بتاريخ 2011/9/4.
11. محمد عودة: أسس علم الاجتماع نظام التدرج الاجتماعي، وبناء المكانة الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت بدون سنة الصدور.
12. جوردن مارشال: موسوعة علم الاجتماع، ج/1، ترجمة احمد زايد ط/1، 2000.
13. ابراهيم مذكور(آخرون) معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية للكتاب 1975.
14. مختار الهراس: القبيلة والسلطة وتطور البنيات الاجتماعية في شمال المغرب، المركز الوطني للتنسيق، وتخطيط البحث العلمي، ط/1، الرباط 1988.
15. جميل حمداوي: سوسيولوجيا التربية، منشورات حمداوي تطوان المغرب ط/1، 2018.
16. بير بورديو: معاودة الإنتاج، في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم، ترجمة ماهر تيمش المنظمة العربية للترجمة، 1979.
17. بيار بونت وميشال ايزار (آخرون) معجم الإثنولوجيا الأنثروبولوجيا ترجمة مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت لبنان 2011.
18. اندرو ادجار وبيتر سيد جويك: موسوعة النظرية الثقافية، المفاهيم والمصطلحات الأساسية، ترجمة هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة مصر، 2014.
19. جوردن مارشال: موسوعة علم الاجتماع، ج/1، ترجمة احمد زايد ط/1، 2000.
20. Create PDF files without this by purchasing nova PDF printer (<http://www.novapdf.com>).
21. Jeanne Favret Saada: La segmentarité au Maghreb, In: L'homme, 1966, Tome, 6, n°2.
22. Evans-Pritchard E.E.: The nuer, description of the modes of livelihood and political institutions of a nilotic people.
23. Pierre Bourdieu : Le distinction critique sociale du jugement, les éditions de minuit, 1979.